الاحوال الثقافية للسجناء والمعتقلين السياسيين ١٩٥٨ -١٩٧٩م

أ.د. فؤاد طارق العميدي **م.م. عهد محمد العامري**

جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية /قسم التاريخ

الملخص :

لدراسة أحوال السجناء والمعتقلين السياسيين في العهد الجمهوري١٩٥٨-١٩٧٩ اهمية كبيرة،في تسليط الضوء على ما دار داخل تلك السجون والمعتقلات ،وتبين لنا كيف يقضي السجناء يومهم منذ الصباح الباكر حتى المساء وما يقومون به من نشاطات ثقافية وأدبيةمن شأنها تنمية مهاراتهم وصقل مواهبهم .

تهدف الدراسة إلى توثيق تلك النشاطات التي يمارسها السجناء والمعتقلون والاطلاع على نتاجاتهم الأدبيةوالفكرية.

Abstract:

The cultural scene inside Iraqi prisons and detention centers is one of the most important features of prison life, whose rules have been established by Yusef Salman Yusef (Fahd) since his arrest in Kut prison in 1948 AD, and prisons produced a life other than what the ruling authority planned for. As they became schools of thought, political, social and literary, through which political prisoners overcame the difficulties of life and created a beautiful world behind those cells, and their literary productions and poems of the last poetry are proof of that.

I salute the political prisoners and detainees' literary epochs, lectures on political economy, as well as literacy classes, and the translation of books from foreign languages into Arabic so that it is permissible for all prisoners of all levels of education. To be complemented by the daily prison newspapers that transmit international and local news to learn about the events taking place outside the prisons

المقدمة

يعد المشهد الثقافي داخل السجون والمعتقلات العراقية من أهم معالم الحياة افي السجن التي وضع قواعدها يوسف سلمان يوسف(فهد) منذ اعتقاله في سجن الكوت عام ١٩٤٨م، وأنتجت السجون حياة غير ما كانت السلطة الحاكمة تخطط له . إذ أصبحت مدارس فكرية سياسية اجتماعية أدبية تغلب بها السجناء السياسيون على صعوبات الحياة وخلقوا عالما جميلا خلف تلك الزنزانات ،وما نتاجاتهم الأدبية وقصائد الشعر خير دليل على ذلك .

أحيى السجناء والمعتقلون السياسيون الأمَاسي الأدبية، و محاضرات الاقتصاد السياسي ،فضلاعن صفوف محو الامية ،و ترجمة الكتب من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية لتكون مباحة للسجناء جميعا على اختلاف مستوياتهم العلمية. لتكملها الصحف السجنية اليومية التي تنقل الأخبار العالمية والمحلية للاطلاع على الاحداث التي تدور خارج السجون. لذلك تضمنت الدراسة عدة مطالب ابتداء بالمقدمة ثم الحياة الثقافية في سجن نقرة السلمان، و سجن بغداد المركزي ،وسجن العمارة ،وسجن(أبوغريب) ،وسجن الحلة ثم خاتمة الدراسة وقائمة المصادر.

الاحوال الثقافية للسجناء والمعتقلين السياسيين
١٩٥٨ -١٩٧٩م

أ.د. فؤاد طارق العميدي **م.م. عهد محمد العامري**

اولا: الحياة الثقافية في سجن نقرة السلمان:-

أ- نشرات الأخبار (الصحيفة السجنية)

كانت نشرات الأخبار السياسية ، إحدى أبرز النشاطات اليومية لدى السجناء حتى أصبحت بمرور الايام، الوسيلة المتبعة التي تصلهم بأحداث العالم . فبأشراف وتوجيه فهد (يوسف سلمان يوسف ١٩٠١- ١٩٤٩م) [١] صدرت اول نشرة اخبارية سجنية يومية للشيوعيين العراقيين من سجن الكوت عام ١٩٤٨ عقب وثبة كانون الثاني . ولم تتوقف النشرة الأخبارية عن الصدور لسنوات عدة ولم يحل بينها وبين الصدور تعاقب السجناء او حملات الارهاب التي كانت تزداد ضراوة بين مدة وآخرى. خصصت ثلاثة سجون للشيوعيين بعد عام ١٩٤٨هي " نقرة السلمان ، الكوت ، بغداد " كانت هناك ثلاث نشرات اخبارية تحمل يومياً الاحداث السياسية ، وتحليلاً للوضع العالمي والداخلي ، فضلا عن التوجيهات العامة . ففي سجن نقرة السلمان مثلا على الرغم من غلق ابواب الغرف ، وصعوبة اتصال السجناء ببعضهم انذاك. كانت النشرة تصدر كل يومين ، ويقرأها كل مع نفسه . أمّا في سجن بعقوبة فكانت النشرة اليومية في الاعوام ١٩٥٥ – ١٩٥٨ تتابع بشكل منتظم الاحداث المحلية واخبار الحركة الشيوعية في العالم واهم التطورات العالمية . وكانت تتلى أمام السجناء صباح كل يوم ، إلا في المدد التي يشتد فيها التشدد إذ يجري ايصالها وقراءتها بشكل آخر(٢).

تعد نشرة الأخبار من المفاصل الرئيسة اليومية للسجناء السياسيين فهي نشرة اخبارية ثقافية عامة تسلط الضوء على النشاط الثقافي في السجون العراقية على انها تعد جزءاً من الصحافة العراقية ، ففي سجن نقرة السلمان بدأت النشرة تصدر منذ عام ١٩٦٣ ولغاية اغلاق السجن عام ١٩٦٨، و كان السجناء على موعد صباح كل يوم وبعد التعداد اليومي مباشرة يستمعون لنشرة الأخبار بما تحتويه من مقالات سياسية ومقالات تعنى بواقع الحركة الشيوعية العالمية فضلا عن ما يستجد من احداث في حركة التحرر الوطني العربي والعالمي لا سيما نضال الشعب العربي الفلسطيني ، وكفاح الشعب الفيتنامي ضد الاحتلال الامريكي[٣] . يعمل في هذه النشرة الأخبارية سجناء مجهولون يتكتمون على تفاصيل عملهم لئلا تتسرب تفاصيل واسرار العمل الى إدارة السجن ، والحرس القومي، وسرية الامن المتواجدين في إدارة السجن. إذ يقومون بالتقاط الأخبار من الإذاعات العالمية والمحلية من خلال جهاز راديو يعمل بالبطارية ويرتبط بجهاز تسجيل يعمل بالبطارية ايضا ، بعد ذلك تحول المواد المسجلة على الورق وتصحح وتبوب بشكل جيد من قبل سجناء معينين كان من بينهم سامي احمد العامري المسؤول المباشر لهذا النشاط ويساعده في التحرير والمتابعة السجناء سامي البدر ، محمد الملا عبد الكريم (الاديب والكاتب الكردي) ، عبد القادر العيداني [٤] .

كان العمل يبتدأ يومياً من الساعة الرابعة عصرا لغاية ساعة متأخرة من الليل لمتابعة آخر الأخبار والاحداث السياسية . وعندما تشكلت لجنة الأخبار عملت مع اللجنة الصحافية كعمل واحد مشترك من ناحية الاستماع للمواضيع والكتابة على شكل مقالات تحليلية حول ما يطرح من مواضيع واحداث سياسية. وعلى الرغم من بساطة الامكانيات المتاحة للعمل فيها كانت مصدر اشعاع ثقافي وفكري للسجناء للتواصل مع العالم خارج السجون والمعتقلات(٥) .

وكان الكثير من الكتّاب السياسيين والباحثين يرفد نشرة الأخبار بما تجود به أقلامهم وما تتفتح به عقولهم من مقالات وتحليلات وتنبؤات يعطونها إلى لجنة التنظيم الحزبية، وهي بدورها تحيلها إلى الهيئة المشرفة على نشرة الأخبار لغرض تعميم الفائدة للجميع أمثال عزيز سباهي وكاظم فرهود وجاسم المطير وفاضل ثامر وألفريد سمعان(٦) .

ومن مهام العاملين في نشرة (الأخبار) ايضاً متابعة نشاطات حركة الدفاع عن الشعب العراقي التي كان من نشطائها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري والمرحوم فيصل السامر وعبد الفتاح إبراهيم وعزيز الحاج، والعديد من الساسة والأدباء العراقيين، وكان مقرها في مدينة براغ في تشيكوسلوفاكيا، ومتابعة أيضا نشاطات الأحزاب الشيوعية والقوى التقدمية للتضامن مع الشعب العراقي في نضاله لإسقاط الحكم الدكتاتوري كذلك احتوت الجريدة السجنية على صفحة اخبار وتقارير أدبيةوبشكل

اسبوعي في بادئ الامر لتكون بعد مدة قصيرة صفحة يومية، إذ يستمع المسؤول عنها الى الإذاعات العربية والبرامج الأدبيةومن ثم تدوينها والتعليق عليها (٧) .

بعد استكذلكل جميع صفحات الجريدة من محرريها في (قسم الانصات) تُسلَم الى سامي احمد العامري مباشرة الذي كان مسؤولا عن القسم الخاص بإعداد الأخبار السياسية ثم يقوم بتنسيق موادها ويسلمها الى الفريق الثاني في(قسم التحرير) الذي كان مقره في غرفة خاصة جنب غرفة المطبخ . كلا الفريقين لا يعرف أحدهما الآخر. بعد تدقيقها واعادة صياغتها أحياناً ترسل الى غرفة أخرى مع الافتتاحية التي يكتبها احد اعضاء اللجنة الحزبية ، ثم ترسل المواد الى غرفة الاستنساخ قسم (الطباعة اليدوية) وفيها يعمل عادة خمسة اشخاص من اصحاب الخط اليدوي الواضح والجميل. فيتم استدعاءهم في ساعة متآخرة من الليل في المكان المخصص لهم خلف الصيدلية والعيادة الطبية. وعلى ضوء (الفانوس) إلى ساعات الفجر الأولى لكي تكون النشرة جاهزة للتوزيع على مسؤولي الردهات والقواويش من قبل (عبدالقادر احمد العيداني)، اعتمادا على اقلام القوبيا والكاربون والورق الابيض المخطط كتابة (١٥-٢٠) نسخة من الجريدة حسب الحاجة اليها لتوزيعها على القواويش في الساعة السابعة او السابعة والنصف صباحا ليتم قارئتها في كل قاووش من قبل احد السجناء الذين اختارتهم الهيئة الادارية للقاووش بعد توفرالشروط الثلاثة فيه وهي :

١ - الصوت الجهوري الذي يستطيع الوصول الى إذان المستمعين في طرفي القاعة

٢ - أن يكون نطقه سليم وواضح كمذيع الراديو

٣ - أن تكون لغته العربية سليمة ايضاً (٨).

كذلك توجد لجنة لتحرير موضوعات خاصة عن ضحايا التعذيب في قصر النهاية. واللجنة مكونة من سامي احمد رئيسا وعضوية جاسم المطير وزهير الدجيلي ، وباشرت اللجنة عملها بعد الاطلاع على مئات الرسائل والتقارير التي كتبها المعتقلون المعذبون في أقبية الحرس القومي ، فانجزت اللجنة على حد ما ذكره السجين جاسم المطير في كتابه (نقرة السلمان) ١٥٠ صفحة عن معتقل قصر النهاية بعنوان "مفاصل قصر النهاية" تضمنت روايات رهيبة عما جرى في ذلك القصر للمدة من(١٨ شباط ١٩٦٣-١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣) ، فضلا عن كتابة قصص عن تعذيب النساء المعتقلات في كتاب بعنوان "عشر نساء في غابة" عن مقتل وتعذيب عشر نساء معتقلات في قصر النهاية ، وكتابة ٢٠٠ صفحة فولسكاب عن تعذيب ٢٥ سجين شيوعي وديمقراطي في مقرات مختلفة للحرس القومي تحت عنوان (عاصفة الجريمة) (٩).

كانت الصحيفة السجنية تكتب على ورق خفيف من قبل السجين عدنان البراك ١٠كي يسهل حشرها لفافات السجائر وايصالها الى الحزب خارج السجن كذلك كان البراك مكلفا باختيار الموضوعات السياسية والأدبية من جريدة البلاد التي كانت تصل الى سجن نقرة السلمان بشكل سري إذ يقوم بإعادة كتابتها على شكل اوراق صغيرة يمكن اخفائها بكف اليد ويجري تداولها سراً بين السجناء(١١) .

وبذلك ظلت الجريدة السجنية بابا مفتوحا على الافكار الشيوعية يساهم فيها مجموعة من السجناء النشطين لتكون صباح كل يوم غناءة بأوراق مسطورة سراً بعيداً عن أعين إدارة السجن.

٢- مجلة السجين في سجن بغداد المركزي :-

مجلة علنية صدرت عن سجن بغداد المركزي عام ١٩٦٤م (١٢) ، مجلة السجين ،يحررها السجناء ،كتب على غلافها السجن ارشاد ،إصلاح ، توجيه ، وأسفل منه كتب السجن مدرسة وتهذيب ، وكانت المجلة شهرية تصدرها اللجنة الثقافية في السجن ، ويحرر مواضيعها السجناء ، احتوى العدد السابع في صفحته الاولى نص البرقية التي بعثها السجناء الى رئيس الجمهورية عبد السلام عارف لتهنئته بمناسبة عيد الاضحى ،و اهدائه نسخة من القرآن الكريم حملها له أمَام جامع السجن (احمد الواعظ) ويطلبون شمولهم بالرأفة والعفو عما تبقى من مدد المحكومية لهم لاسيما السجناء غير السياسيين (١٣).

كذلك تضمن العدد خطبة الجمعة التي ألقاها المرشد الديني أحمد الواعظ وعنوانها "مكانة الجمعة في الاسلام "يحثهم فيها على الالتزام بالصلاة ، وفي صفحة آخرى من صفحات المجلة نجد برقية آخرى من السجناء مرفوعة الى مدير السجن يستنكرون ويشجبون هروب سجناء اثنين من السجن هما (البرت مايكل و هادي صالح) من سجناء القلعة الخامسة ليلة ٢/ إذار /٩٦٥م (١٤) .

في المجلة فقرة تعنى بالأخبار الرياضية للسجن إذ جرت مباراة ودية بكرة الطائرة بين فريق سجن بغداد المركزي وفريق الموقف العام برعاية ضابط العاب السجن (سعود نايف المسعودي) وكان الفوز لصالح سجن بغداد بثلاثة أشواط ، وقد وزعت المرطبات على الحاضرين ، أمَا المباراة الثانية التي اقيمت في اليوم نفسه ٢٧ شباط ١٩٦٥م ، بكرة السلة فكان الفوزفيها من نصيب سجن بغداد ايضا بنتيجة ٧٦ نقطة مقابل ٣٦ نقطة لصالح سجن الموقف ، وفي نهاية الخبر فريق سجن بغداد المركزي يتحدى الفرق الخارجية ويعلن استعداده لمنازلتها ، حرر الخبر من قبل المشرف الرياضي في سجن بغداد المركزي السجين السيد علي السيد جواد (١٥) .

كذلك ضمت الصحيفة مواضيع آخرى منوعة منها الركن الصحي ، وركن الحقيبة الأدبية الذي تضمن عنوانات للشعر وفقرة طرائف ، وبريد القراء ، وركن آخر اختص بأخبار السجن الداخلية ليختم العدد بمسابقة الكلمات المتقاطعة (١٦) .

وفي سجن الحلة كانت الجريدة السجنية سرية وتصدر كل يوم ، فيقرأ نشرة الأخبار أحد السجناء في القاووش ، وكانت الجريدة تكتب في احدى الغرف بأربعة نسخ لتوزع على اربع قاعات ، ومن ثم يتم تداولها الى القاعات الآخرى ، وتجمع النسخ عند المساء إذ كلف السجين عقيل عبد الكريم حبش بجمعها ،ليقوم بحرقها باحد "البراميل" المعدة لهذا الغرض . وفي الجريدة تكتب فقرات متنوعة منها السياسية والأدبية والرياضية وكذلك الاعلانات المتعلقة بالسباقات والبطولات، وذات مرة تم أُعلن عن أسبوع النظافة ، وخصصت جائزة لأنظف قاووش وهي عبارة عن فانوس ،واقيم حفلا خاص بتلك المناسبة وفاز قاووش رقم ٤ وسلمت لهم الجائزة وسط اهزوجة " هذا الكاس يلمع وعيونهم تدمع" (١٧) .

٣- مكتبة السجن:-

كان معظم نزلاء سجن نقرة السلمان هم من رجال الدولة الوطنيين والسياسيين والذين يمثلون الطبقة المثقفة التي تهتم بالجوانب الثقافية لذا كانوا بحاجة الى المطالعة والقراءة دائما ، وعلى اثر ذلك قاموا بتخصيص غرفة من غرف السجن بمساحة ٨×٤م لإنشاء مكتبة ، وكانت متاحة أمَام السجناء لاستعارة الكتب والمطالعة وبعد الانتهاء من قراءة اي كتاب يتم اعادته الى المكتبة لغرض استفادة شخص آخر منه ، وكانت الكتب مقسمة الى قسمين :

القسم الاول : الكتب المسموحة التداول بها داخل السجن بشكل علني إذ عندما ينقل سجين لديه كتب يجلبها معه الى السجن المنقول اليه وتقوم إدارة السجن بتفتيش تلك الكتب وبعد التأكد من انها لا تحوي على افكار ومقالات ممنوعة من قبل السلطات تسمح له بأدخالها .

القسم الثاني : الكتب غير المسموحة ويتم ادخالها بصورة سرية "تهريبا" بوساطة العائلات القادمة للمواجهات او بوساطة السجانين المتعاونين مع السجناء من خلال احد اعضاء اللجنة الادارية لاسيما كنعان العزاوي (ابو سليك) وعباس البغدادي اللذين يجيدان التفاهم مع بعض السجانين حول كيفية استيراد وتوفير الكتب الممنوعة من بغداد ومن مصادر مختلفة وادخال الكتب التقدمية الى السجن فضلا عن الكتب وكراسات التراث والمأثورات الشيوعية (١٨).

عندما عزمت المنظمة على تأسيس المكتبة لم تكن هناك خطة محددة لتزيدها بكتب معينة الا ان الشيء الاساس في جهودها انصب على ضرورة ان تكون هذه المكتبة دارا حقيقية تساعد العقل السجين على التطور في مجال ابداع ادب السجون وتطويع الحياة اليومية للسجناء على اساس نهضة فكرية فلسفية أدبية وكان من حصاد هذه الجهود ان تم افتتاح هذه المكتبة بأكثر من

١٥٠ كتاب ضمت روايات عربية وعالمية فضلا عن الابحاث والدراسات المتخصصة في اصول السياسية والعلوم والفلسفة والآداب كذلك تبرعت المنظمة الحزبية بخمسة وخمسين كتاب وتبرع جاسم المطير بثلاثة عشر كتابا وتبرع خالد حبيب بسبعة دواوين شعرية وغيرهم كثيرون(١٩).

وكان السجين هاشم الطعان على سبيل المثال يشدد على السجناء ضرورة قراءة ودراسة واستيعاب اهم كتب التراث العربي ويوجه الشعراء السجناء الشباب لأهمية قراءة المعلقات السبع وديوان بشار بن برد ،وديوان ابي نؤاس ، وديوان ابي تمام ،وديوان ابن الرومي ، ففي نظره أن من لا يتعمق في قراءة هذه الكتب لن يكون شاعرا ، أمَا السجين الراغب في ان يكون قاصاً أو روائياً فعليه ان يتعمق في قراءة كليلة ودمنة (ابن المقفع) وكتب الجاحظ ومجلدات الف ليلة وليلة وإذا أراد السجين ان يكون ناقداً ادبياً في فنون الشعر والقصة فعليه أن يركز على قراءة طبقات فحول الشعراء لـ(محمد بن سلام) وعيون الأخبار لـ(ابن قتيبة) ومن يريد ان يكون مؤرخاً فعليه بقراءة واستيعاب كتاب فتوح البلدان (للبلاذري) وتاريخ الرسل والملوك (للطبري) ويختم نصائحه دائماً بأن من يريد أن يكون ماركسياً حقيقياً عليه بكتاب رأس المال ذي المجلدات الأربعة واضعاً إياه في عقله وقلبه (٢٠) .

أسفرت الجهود الثقافية التي بذلتها المنظمة الحزبية واللجنة الثقافية وأغلب السجناء الشيوعيين عن ازدياد عدد الكتب ليس فقط الكمية إنما النوعية مما ساعد على زيادة المعارف بين السجناء وتلبية بعض الاحتياجات للأبحاث والدراسات السجنية إذ كانت من ضمن الكتب مؤلفات مكتوبة بعدة لغات مثل اللغة الانكليزية ، والروسية ، والفرنسية ، إذ عمل عدد من السجناء على ترجمتها الى اللغة العربية للاستفادة منها من قبل السجناء الذين لا يتقنون غير اللغة العربية ونشر الثقافة العالمية داخل السجن(٢١) .

كان أغلب السجناء المخضرمين يشجعون الشباب على ضرورة الاستفادة من وقت السجن في القراءة والتزود بالمعارف المختلفة . فكان سلطان ملا علي وعبد الحسين خليفة مثلا يشجعان المحيطين بهما داخل القاووش على القراءة والتزود بالغذاء الروحي بما هو متوفر من كتب داخل السجن . فكانا مرجعا مهما في الرجوع الى بعض المعلومات السياسية ولاسيما المتعلقة منها بتأريخ الحزب الشيوعي العراقي او الحركة الشيوعية العالمية . وحينما بدأ السجناء يغادرون على شكل وجبات الى سجون آخرى او يطلق سراحهم كان اول قاووش قد فرغ من النزلاء هو قاووش رقم ١٠ فتم تخصيصه في الحال ليكون في اوآخر عام ١٩٦٦ مكتبة السجن او دار المعرفة السجنية او دار الحكمة او مكتبة الشيوعين في الصحراء وغير ذلك من التسميات(٢٢) .

ضمت المكتبة في بداية تأسيسها تسعة اعداد من مجلة الكاتب المصرية ، و ثمانية أعداد من مجلة الآداب اللبنانية و اربع روايات للكاتب نجيب محفوظ ، وهكذا توسعت المكتبة بالتبرعات المتواصلة من السجناء وعائلاتهم فضمت كتب قيمة . حتى ضمت المكتبة قرابة ٤٦٠ كتاباً عام ١٩٦٧ م و ضمت المكتبة نسخة متوسطة الحجم من القران الكريم ونسخة من الكتاب المقدس الجامع للعهد القديم والعهد الجديد ،اي التوراة والاناجيل الاربعة ، وكان الشعراء الشباب في السجن قد اعتادوا التسجيل على استعارة الكتاب المقدس لقراءة نشيد الانشاد الذي اعتقدوا انه سيساهم في رفع مستوى مفرداتهم الشهرية فانهمكوا في قراءته وحفظه (٢٣) .

وساهمت المكتبة في دخول السجناء في مناقشات حول الثقافات الانسانية في مختلف العصور والازمان واستكذلكل حالات السجناء الى جميع فروع الثقافة والآداب (٢٤) .

اجتمع في سجن نقرة السلمان مجموعة من الشعراء والادباء منهم الشاعر والمغني البدوي سعدي الحديثي ، والشاعر مظفر النواب ، والشاعر زهير الدجيلي ، والشاعر المحامي هاشم صاحب المتحول الى شعر الهجاء ، والشاعر الفريد سمعان فضلا عن عشرات الشعراء الآخرين ، وكذلك شعراء ينظمون القصيدة الحسينية (٢٥).

أمَا السجين صادق جعفر الفلاحي فكان نشطاً في السجن، يمتلك روح وهمة الشباب إذ يحاضر في الندوات التي تقيمها المنظمة الحزبية، فضلا عن إدارته صفوف للسجناء لتدريس تاريخ الطبقة العاملة، سواءً العراقية أو العربية أو الأممية، ونضالاتها في سبيل تحقيق مكاسبها الثورية لخدمة شعوبها. وعندما تعرض الحزب الشيوعي العراقي للانشقاق أواسط عام ١٩٦٧م وانحياز منظمة السجن إلى جماعة القيادة المركزية، قال بالحرف الواحد في اجتماع الكادر الحزبي، (إنّ هذا الانشقاق أقف ضده، وإن قلبي ملجوم من الانشقاقات)(٢٦).

إذا اراد السجين كتاباً او كراساً من انتاجات الحزب الشيوعي عليه الذهاب لطلبه من عبد الوهاب طاهر فان كان صاحب الطلب عضواً في الحزب فانه يسلمه الطلب فوراً وان لم يكن عضواً إلّا أنه موضع ثقة أو قريب منه فإنه يسلمه ايضاً يعني لا يسلم عبد الوهاب من مكتبته الا للموثوق والجاد في ابحاثه وقراءته ، وصل في احد الايام كتاب "عشرة ايام هزت العالم" للكاتب الامريكي جون ريد في القاووش رقم ٢ كان يتداول بين السجناء وفق جدول خاص لاستعارة الكتب وضعه الضابط الطيار السجين خالد حبيب . يمكن القول بأن المكتبة السجنية ساهمت في استكمال حاجات السجناء الى جميع فروع الثقافة والادب(٢٧) .

من الجدير بالذكر إن اللجنة المركزية لم تقم بأي نشاط سري داخل المكتبة من أجل الحفاظ على هذا الصرح الثقافي البسيط إذ إن اللجنة المسؤولة عن ادارتها هي اللجنة الثقافية وعند استلام حزب البعث لقيادة الحكم بعد ٨ شباط ١٩٦٣م تم ارسال قوة من الحرس القومي لغرض الاشراف على إدارة السجون لكسر هيبة السجين السياسي والقضاء على افكاره التي تعارض سياسة الحكم ف اصدر توجيهات وتعليمات جديدة بغلق المكتبة (٢٨) .

٣- التصوير والرسم في نقرة السلمان :-

كانت الكاميرا موجودة وبحوزة السجين المحامي رزوق تلو ،والكاميرا من نوع (Zenit) روسية الصنع ، وقد احتفظ بها السجين رزوق منذ أن كان في سجن بغداد ، أخذها السجين عادل سليمان (٢٩) ، وتفحصها جيداً ، وعن طريق الصدفة تمكن من فصل العدسة عن الكاميرا ، ومن ثم قام بتحويرها وعمل منها جهاز تكبير الصورة ،ويحتوي الفلم على ٣٦صورة negative اي مسودة ، وعن الافلام وطريقة ادخالها فقد تكفلت بها المنظمة السجنية بالتنسيق مع إدارة السجن ، ومواد التحميض ، تدخل السجن عن طريق السجناء الصيادلة وايضا بالتنسيق مع منظمة السجن .أمَا بالنسبة للمكان (الاستوديو) الذي تحمض وتطبع فيه الصور ، فإن المنظمة السجنية قامت ببناء غرفة صغيرة سرية ملحقة بمطبخ السجن(٣٠) .

كان السجين عادل الربيعي ، يقوم بتصوير حياة السجناء اليومية ، ومايؤدونه من الاعمال داخل السجن ، والمسابقات والالعاب الرياضية وغيرها. إذ لازال يحتفظ بتلك الصور عنده(٣١).

أمَا الرسم فقد كان للطبيب الرسام قتيبة الشيخ نوري دور مهم في توثيق الحياة اليومية للسجناء ، على الرغم من انشغاله بتقديم العناية الطبية الى السجناء واهالي قرية السلمان إلا أنه قدم الصور الحقيقية ليوميات السجناء داخل السجن ، ومن اشهر تلك اللوحات كانت لوحة (الانسان والجدار) التي عبر فيها عن معاناة الانسان في كل السجون العراقية من ظلم وقساوة لاسيما تلك التي كانت في مدة حكم البعث ، وقد تمكن من ارسال لوحاته بصورة سرية الى خارج السجن من خلال عوائل ومعارف السجناء عند الزيارة او عن طريق بعض الاشخاص ممن يعملون في السجن و المتعاونين مع السجناء (٣٢) .

٤- الحياة الثقافية في سجن ابو غريب :

نظم السجناء السياسيون لهم برنامجاً منتظماً يشتمل على فقرات الرياضة والقراءة والكتابة وتبادل الآراء بشكل تحريري ثم المناقشة، وذكر طالب البغدادي" وافقت إدارة السجن على ادخال الكتب الينا وجاءت عوائلنا بما كنا نطلبه من كتب

ومراجع".وقد أنجز طالب البغدادي(٣٣) ، وعبدالله سلوم السامرائي(٣٤) مشاريع ثقافية ، فقد قام طالب البغدادي بترجمة كتاب (الحساب الاقتصادي) ل Charles Bettelheim وهو من الكتب النظرية المهمة والصعبة جدا في الاقتصاد الماركسي ، وأنجز ترجمة كتاب (النقود لدى ماركس) Suzanne Brunhoff ، وكتب مقالاً مهماً في الرد على الدكتور جلال أحمد أمين حول التخلف الاقتصادي ، وبحثاً مهماً حول النقود والاسعار، وكذلك رواية اسماها (در وحماد) اهداها الى طفليه حراء وذي الفقار(٣٥).

٥- الحياة الثقافية في سجن العمارة

أبلغت منظمة السجن السجين عقيل حبش بأن عليه أن ينقل أمتعته من القاعة رقم ١ الى الغرفة الخاصة لغرض الحراسة ، إذ استعملت الغرفة للتنصت على الأخبار. لأن السجين كان محرماً عليه امتلاك مذياع. وحين زاول عقيل عمله كمراقب . خشية من الدخول ومداهمة الغرفة لأن بابها يطل على باب السجن ، وكانت مهمته تحذير رفاقه السجناء الذين يتنصتون الى المذياع عند دخول الشرطة، أمَا مهمته الآخرى فهي مسؤوليته عن مكتبة السجن الخاصة بالمنظمة، والمتكونة من الكتب السياسية ،وجهاز التسجيل، والمذياعات الصغيرة ، والتقارير المرسلة للحزب والقادمة منه واخفاءها عن أعين الرقباء الفضوليين ورجال الشرطة. سميَ من قبل رفاقه بـ "قطة الخرائب" لأنه كان يبحث عن أكثر من مخبأ لهذه الحاجيات الصغيرة والكبيرة ،خارج الغرفة ،داخلها. وكان السهر يلازمه طيلة بقائه في الغرفة لأن التنصت الى الإذاعات يتم في الليل ولساعة متآخرة منه ، وفي النهار يأخذ قسطاً من الراحة ويخصص وقتاً آخر للقراءة (٣٦) .

كان المذياع ممنوع في سجن الرمادي ، وفي سجن العمارة أيضاً، والكراسي لا يملكها أحد وليس لها وجود، والطعام لا يأتي من الخارج عدا القصعة وليس هناك من كتب أو مجلات الا التي توافق عليها إدارة السجن ومديرية الأمن (٣٧).

كان السجناء يطلعون على بعض المجلات الجديدة في سجن العمارة إذ يجلبها قسم من الزائرين وأفراد الشرطة الخاصين ،مقابل مبلغ من المال يدفع لهم وكان بعض السجناء يتشاركون بشراء عدد منها اومن الكتب، أمَا الأغلبية فلم يكن لهم الخيار سوى الانتظار بعد أن تتم قراءتها من قبل المشترين الذين قد يهدون ما يحلو لهم الى مكتبة السجن، وهنا يتم تسجيل أسمائهم للاستعارة والانتظار، أمَا أنا (عقيل حبش) "فكنت أتسلل ليلاً وآخذها فأقرأها ليلاً وأعيدها الى أمَاكنها عند الفجر قبل استيقاظ أصحابها وفي الكثير من الليالي كان يعصرنا الجوع ونحن نقرأ الى أوقات متآخرة من الليل وكان الأستاذ المترجم (مصطفى عبود) وهو مدرس لغة انكليزية من البصرة يشاركني القراءة، فقرأنا بهذه الطريقة كل الكتب التي دخلت السجن وكنا نداري جوعنا ببعض قطع وفتات الصمون المتبقي من القاعات"(٣٨) .

بعد أيام وصلت الوجبة الثانية من سجن نقرة السلمان الى سجن العمارة لكونهم من أهالي البصرة وأقيمت لهم حفلة ترفيهية وحين استكملت كافة التنقلات من سجن الرمادي وسجن نقرة السلمان توسعت قاعدة الدراسات العامة في السجن وفتحت دورات خاصة للغات الاجنبية على الرغم من أنها كانت موجودة وكذلك في الفلسفة والاقتصاد السياسي وتعددت ألوان الرياضة فشملت السلة والطائرة والكمال الجسماني وتضاعفت الندوات التثقيفية والترفيهية كما و أن حائكي الخرز الناعم (النمنم) قد تزايد عددهم فتراهم منتشرين في كل مكان بعد ان فتحت ورشات لتعلم العمل الفني الماهر(٣٩) .

٦- الحياة الثقافية في سجن الحلة

كانت أدبيات الحزب الشيوعي العراقي ونشاط منظماته تقرأ على السجناء في اجتماع عام كذلك تقرأ جريدة الحزب ، وبعض نشاطات السجناء الأدبية، وكانت هناك حلقات دراسية بالعلوم السياسية ، والاقتصادية فضلا عن شرح سياسة الحزب كذلك تقام بعض الحفلات الترفيهية والتي تتضمن بعض المسرحيات والمشاهد، وكان للشاعر مظفر النواب جزء من ذلك البرنامج أمَا أن يكون غناءً أو إلقاء قصيدة من شعره (٤٠) .

٧- مجلة الغد الجديد :

أ.د. فؤاد طارق العميدي م.م. عهد محمد العامري

مجلة ثقافية صدرت عام ١٩٦٦ في سجن الحلة وشغلت مكاناً متميزاً في صحافة الشيوعيين السجنية إذ كانت آخر حلقة في صحافة الشيوعيين السجنية ، وكانت مجلة عنيت بالدرجة الرئيسة بالجوانب الثقافية في وقت اصبح واضحا ان ثمة تحولاً سياسياً وثقافياً بدأ يلوح في الافق لصالح القوى التقدمية . وعلى الرغم من ان الغد الجديد لم يصدر منها سوى عدد واحد ، الا انها سجلت اشارة هامة في تطور الاحداث الثقافية ، وكانت قد نشرت مقالا مترجما للأستإذ نعيم بدري ، وقصيدة للشاعر الفريد سمعان ، ومقالا لفاضل ثامر وقصتين لسلمان العقيدي ، وجاسم الجوي ، ومقالا عن المسرح لعبد القادر شكور ، ومقالات آخرى باقلام مختلفة ، وساهم بالتخطيطات خطاطون وفنانون آخرون(٤١) .

الخاتمة :

مما عُرض نجد:

١- ان جميع الانظمة والحكومات التي حكمت العراق لم تعمل على بناء الانسان الواعي الذي يحسن اختياراته وتوجهاته الفكرية ، بل على العكس سعت لهدم اي محاولة بهذا الاتجاه معتمدة على منهج العنف لفرض ارادتها على خصومها من السياسيين . الا ان ذلك لم يمنع السجناء والمعتقلين السياسيين من تبني منهج ثقافي يرتكز على تنمية الوعي لديهم وتدوين نتاجاتهم الأدبية بمختلف أشكالها بعيداً عن انظار السلطات الحاكمة .

٢- أصبحت السجون العراقية في تلك المدة مدارس فكرية ،سياسية ،أدبية،واجتماعية تغلب فيها السجناء على مصاعب الحياة اليومية وما يتعرضون له من تعذيب جسدي ونفسي.

٣- نظم السجناء السياسيين لهم برنامجا منتظما يشتمل على فقرات الرياضة والقراءة والكتابة وتبادل الآراء بشكل تحريري ثم المناقشة، مما زاد وعي السجناء بحقوقهم المشروعة في الحرية و ابداء الراي

٤- اسفرت الجهود الثقافية التي بذلها اغلب السجناء الشيوعيين عن ازدياد عدد الكتب ليس فقط الكمية انما النوعية مما ساعد على زيادة المعارف بين السجناء وتلبية بعض الاحتياجات للأبحاث والدراسات السجنية .

٥- كانت من ضمن الكتب الموجودة في السجون ،مؤلفات مكتوبة بعدة لغات مثل اللغة الانكليزية ، والروسية ، والفرنسية ، فعمل عدد من السجناء على ترجمتها الى اللغة العربية للاستفادة منها من قبل السجناء الذين لا يتقنون غير اللغة العربية مما ساعد على نشر الثقافة العالمية داخل السجون.

الهوامش

(١) يوسف سلمان يوسف ،مؤسس الحزب الشيوعي العراقي وسكرتير الحزب ،اشتهر باسمه الحركي (فهد) من مواليد بغداد ١٩٠١م.. تمكن من بناء تنظيم حزبي متماسك وكادر نقابي متمرس ، اشترك عام ١٩٤٨ في النشاطات المناهضة لاقرار معاهدة بورتسموث ،والقي القبض عليه ومجموعة من رفاقه الشيوعيين واحيلوا الى المحكمة العرفية العسكرية وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ،واودع في سجن الكوت لكنه استمر في قيادة الحزب من داخل السجن مما ادى الى اعادة محاكمته أمَام المجلس العرفي العسكري وحكم عليه بالاعدام ونفذ فيه بتاريخ ١٤ تموز ١٩٤٩م.انظر: حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية ،شركة العارف للنشر ،بيروت ،٢٠١٣، ص٦٧٥.

(٢) عبد المنعم الاعسم ، النهر والجدول : صحافة المنافي القديمة والسجون ، ١/اب/٢٠١٠ www.tellskuf.com

٣)جاسم المطير ، صحافة السجون ، جريدة صوت العراق الالكترونية ،(www.akhparalaan.net)

(٤) عبد القادر العيداني ، المصدر السابق ،ص٥٥

(٥) مجلة الثقافة الجديدة ، بغداد، العدد ٢٢٨ ، حزيران ٢٠٠٨ ، ص٢٢

٦(حميد عبد الله ، شهادات للتاريخ ، لقاء مع الاديب والسياسي الفريد سمعان ، بتارخ ١٠/اب/٢٠١٩؛ عبد القادر العيداني ، المصدر السابق، ص٥٦.

(٧) عزيز الحاج ، شهادة للتاريخ ،مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، بغداد ، ٢٠٠٢ ،ص٢٣٨.

(٨) جاسم المطير ، المصدر السابق ، ص١٢٨.

(٩) المصدر نفسه ، ص١٣٠و ص ص٥٤٤-٥٤٥؛ اتحاد الكتاب العراقيين في السويد ، طوبى للغرباء، زهير الدجيلي، مقال منشور بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ٢٠١٦؛ الشاعر العراقي زهير الدجيلي، برنامج وينك، بتاريخ ٧ تشرين الثاني ٢٠١٤، موجود على موقع اليوتيوب .

(١٠) عدنان البراك ولد في بغداد عام ١٩٣٠م،برز في وقت مبكر ميله نحو الادب والثقافة وحركات التنوير، اكمل دراسته بتفوق في مدينة الحلة ،ودخل كلية الطب في بغداد عام ١٩٤٨م، وبسبب نشاطه مع الحزب الشيوعي فقد تعرض للاعتقال عدة مرات، وفي سجن نقرة السلمان كان مكلفا باختيار الموضوعات السياسية والأدبيةمن جريدة البلاد التي تصل سرا الى السجن ويعيد كتابتها على شكل لفافة يمكن اخفائها بكف اليد ويجري تداولها سرا بين السجناء . سهيلة حسن ،الشهيد عدنان البراك مناضلا وابا وزوجا ، بتاريخ ١/تشرين الاول ٢٠١٥ ، موقع الحزب الشيوعي العراقي .

(١١) عادل حبة ، الشهيد عدنان البراك علم من اعلام الصحافة الشيوعية العراقية ، مقال منشور في جريدة طريق الشعب ، العدد ٢٢٤ ، بتاريخ ٢ تموز ٢٠١٥م ، ص٨ .

(١٢) تمكنت الباحثة من الحصول على العدد السابع الصادر في نيسان ١٩٦٥م، فقط وذلك لفقدان بقية الاعداد ومن يمتلك عدد منها امتنع عن اعطاء أي معلومة عنها بحجة عدم العثور عليها بين كتبه الخاصة

(١٣) مجلة السجين ،العدد: السابع ، العدد نيسان ١٩٦٥، مطبعة الازهر، بغداد، ص ص٢،٣

(١٤) مجلة السجين ،العدد السابع ، العدد نيسان ١٩٦٥، ص ١٧.

(١٥) المصدر نفسه ، ص٥٠.

(١٦) المصدر نفسه ، ص٦٤.

(١٧) عقيل عبد الكريم حبش الجنابي، المصدر السابق، ص ص٤٣-٤٥.

(١٨) ياسين النصير ، جمعة اللامي في منطقة الضوء ، مجلة سطور الالكترونية، بتاريخ ٢٥ إذار ٢٠١٢م.

(١٩) احمد عبد الحسين حسين كروع الجياشي ، سجن نقرة السلمان ١٩٥٨-١٩٦٨(دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى ،٢٠١٧، ص٢٩٦

(٢٠) كريم عباس زامل ، مذكرات سجين سياسي ، مجلة تاتو ، العدد٢١ ، السنة الثانية ، بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ٢٠١٠م ، ص٢٠ .

(٢١) جاسم المطير ، المصدر السابق ، نقرة السلمان ،ص٤٨٥؛ جمعة اللامي، الاعمال القصصية ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، بيروت ،٢٠١٤، ص٢٢٦.

(٢٢) جاسم المطير ،المصدر السابق ، ص٤٨٩ .

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٩١.

(٢٤) المصدر نفسه ، ص٤٩٠-٤٩٤.

(٢٥) عبد القادر العيداني ، المصدر السابق ، ص١٠٥ .

(٢٦) صادق جعفر الفلاحي ، المصدر السابق ، ص١٩٤ .

(٢٧) محمد المعلم ، المصدر السابق ، ص٣٢٨ ؛ مجلة الثقافة الجديدة ، سفر النضال ، العدد ٣٣٩ ، بتاريخ ١٩ حزيران ٢٠٠٩ .

(٢٨) جمعة اللامي ، الاعمال القصصية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٤م ، ص٢٢٦

(٢٩) عادل سليمان الربيعي ، وليس سلام عادل مثل ما ذكر احمد عبد الحسين الجياشي في رسالته ،ص٢٩٣، وعادل مواليد الموصل عام ١٩٣٩ م، كان يعمل في مجال التصوير منذ عام ١٩٥٠ ، تم اعتقاله عدة مرات آخرها كان عام ١٩٦٣م، من قبل الحرس القومي ، تعرض للتعذيب والضرب اثناء التحقيق بسبب انتمائه للحزب الشيوعي ، وحكم عليه المجلس العسكري العرفي الثالث ، بالسجن عشر سنوات، واطلق سراحه بمرسوم جمهوري عام ١٩٦٨م. ينظر جريدة الجمهورية ، العدد ٢٠٦، في ٧ آب ١٩٦٨؛ مقابلة مع عادل سليمان عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ١٣/نيسان /٢٠٢٠ الساعة ٨ مساءا .

(٣٠) صادق محمد حسن اطيمش ، مقابلة عبر مواقع الاتصال الاجتماعي، بتاريخ ٢٩ ايلول ٢٠٢٠، الساعة السادسة عصرا .

(٣١) مقابلة مع عادل سليمان عبر مواقع التواصل الاجتماعي بتاريخ ١٤ نيسان ٢٠٢٠م ، الساعة ٨ مساءا

(٣٢٠) ابراهيم السواعير ، الطبيب والفنان قتيبة الشيخ نوري، جريدة الراي الاردنية ، بتاريخ ٢٦ شباط ٢٠١٤م؛ جريدة طريق الشعب ، العدد ١٢٤،بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٤ .

(٣٣) طالب البغدادي ، المصدر السابق ، ص٦٣ .

(٣٤) عبدالله سلوم ولد في سامراء عام ١٩٣٢، حصل على شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، اصبح عضو قيادة قطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي (١٩٦٤-١٩٧٠) ووزيرا للاعلام (الثقافة والارشاد) في حكومة انقلاب ١٩٦٨م. ثم وزيرا للدولة ،وسفيرا في الهند . اعتقل وسجن في مبنى الامن الخاص للمدة من (آب١٩٨٨- آب ١٩٩٠) ، وتوفي عام ١٩٩٨. حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص٤٠٠.

(٣٥) طالب البغدادي، المصدر السابق ، ص٦٣

(٣٦) عقيل عبد الكريم حبش الجنابي ، الطريق الى الحرية ،ص٢٩.

(٣٧) المصدر نفسه ، ص٢٠.

(٣٨) المصدر نفسه، ص٢٨

(٣٩) صادق جعفر الفلاحي ، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٤٠) عقيل عبد الكريم حبش ، المصدر السابق ، ص ٢٩

(٤١) عبد المنعم الاعسم ، النهر والجدول : صحافة المنافي القديمة والسجون ، ١/اب/٢٠١٠ www.tellskuf.com

المصادر

الكتب العربية والمعربة

١-اتحاد الكتاب العراقيين في السويد ، طوبى للغرباء، زهير الدجيلي، مقال منشور بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ٢٠١٦

٢-جمعة اللامي، الاعمال القصصية ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، بيروت ،٢٠١٤.

٣-حسن لطيف الزبيدي , موسوعة الاحزاب العراقية – الاحزاب والجمعيات والحركات والشخصيات السياسية والقومية والدينية في العراق , مؤسسة العارف للمطبوعات , بيروت , ٢٠٠٧

٤-طالب البغدادي ، حكايتي مع صدام حسين ، بيت الوراق للطباعة ، بغداد،٢٠٠٦ .

٥-عبد القادر العيداني ، عبد القادر العيداني ، نقرة نقرة السلمان قيود تحطمت ، نور للنشر، الشارقة، ٢٠١٨
٦-عزيز الحاج ، شهادة للتاريخ ،مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، بغداد ، ٢٠٠٢ ،ص٢٣٨.
٧-عقيل عبد الكريم حبش الجنابي، الجنابي،الطريق الى الحرية القصة الكاملة لعملية شق نفق سجن الحلة وهروب السجناء السياسيين من ذلك السجن عام ١٩٦٧، دار الملاك للفنون والادب والنشر ،بغداد،د.ت.

الرسائل

١-احمد عبد الحسين حسين كروع الجياشي ، سجن نقرة السلمان ١٩٥٨-١٩٦٨(دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ذي قار،٢٠١٧.

المقابلات

مقابلة مع عادل سليمان عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ١٣/نيسان /٢٠٢٠ الساعة ٨ مساءا .
صادق محمد حسن اطيمش ، مقابلة عبر مواقع الاتصال الاجتماعي، بتاريخ ٢٩ ايلول ٢٠٢٠

الصحف

١- جريدة صوت العراق الالكترونية ،(www.akhparalaan.net)
٢-جريدة الراي الاردنية ، بتاريخ ٢٦ شباط ٢٠١٤م؛
٣-جريدة طريق الشعب ، العدد ١٢٤،بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٤ .
٤-جريدة طريق الشعب ، العدد ٢٢٤ ، بتاريخ ٢ تموز ٢٠١٥م ، ص٨ .
٥-مجلة الثقافة الجديدة ، بغداد، العدد ٢٢٨ ، حزيران ٢٠٠٨ ، ص٢٢
٦- مجلة الثقافة الجديدة ، سفر النضال ، العدد ٣٣٩ ، بتاريخ ١٩ حزيران ٢٠٠٩ .
٧-مجلة السجين ،العدد: السابع ، العدد نيسان ١٩٦٥، مطبعة الازهر، بغداد،
٨-جريدة الجمهورية ، العدد ٢٠٦، في ٧ آب ١٩٦٨؛
٩-مجلة تاتو ، العدد٢١ ، السنة الثانية ، بتاريخ ١٥ تشرين الثاني

المواقع الالكترونية

عبد المنعم الاعسم ، النهر والجدول : صحافة المنافي القديمة والسجون ، ١/اب/٢٠١٠ . www.tellskuf.com
حميد عبد الله ، شهادات للتاريخ ، لقاء مع الاديب والسياسي الفريد سمعان ، بتارخ ١٠/اب/٢٠١٩.
الشاعر العراقي زهير الدجيلي، برنامج وينك، بتاريخ ٧ تشرين الثاني ٢٠١٤.